خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٩ من رمضان ١٤٣٦ هـ / ٢٦ من حزيران ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

معاشر السادة: لقد اتفق أصحاب الفطر السليمة على أن الإنسان إذا تسول وكان لديه في بيته ما يكفيه ويُغنيه فهو شخص غريب الأطوار شاذُّ المسلك، فإذا احترف التسول مع وجود ما يكفيه يقيناً وما يُغنيه فهو شخص مريض يستحق العلاج أو مجرم يستحق العقاب، والأمم والجماعات في هذا القانون كالأفراد سواء بسواء، فالأمة التي لَديها ثروة معنوية طائلة أو التي تملك تراثاً حضارياً خصباً تعتبر أمةً غريبةً إذا نَسيت ما لديها من كنوز وما تقتني من مصادر الغنى المادي والأدبي.

إن الأمة الإسلامية بالذات أمة أفاء الله عليها من المبادئ والقيم من المشاعر الناضرة في قبلها والأفكار الذكية في عقلها ما يجعلها أمة تُعطي ولا تأخذ، وما يجعل يدها العليا لا السفلى، وكل ما تحتاج إليه أن تعرف نفاسة ما عندها وعظمة ما زودتها الأقدار به.

إن رأس مال أي أمة ناهضة هو جهد بنيها وكدحهم وراء الرزق، واعتصارهم أسباب الحياة من الصخور، وعلى الدول شق ميادين العمل لكل قادر، واستنفاذ الطاقات المختزنة في الأجساد لمصلحة الفرد والجماعة، فإن الزكوات وشتى ضروب العطاء عليها بعد ذلك أن تعمل عملها الواسع في تفريج الضوائق وسد حاجات اليتامى والمساكين والمحتاجين، فإذا جفت بعض المنابع كان على المنابع الباقية أن تَحمل العبء كاملاً، وعلى الدولة أن تستنبط من موارد المال ما توازي به شؤون المجتمع وتقيم به مصالح الناس، والدين لها في كل ذلك ظهير، وإذا كانت الغاية التي شرعت من أجلها الزكاة هي تحرير الفقراء من الفاقة،

وإطلاق إنسانيتهم من إسارها الحالك، فلنحقق هذه الغاية كاملةً ولنحمل ما تفرضه علينا من تكاليف قليلة أو كثيرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل للدولة دور في مكافحة الفقر والتسول؟

في الإسلام عبادات شخصية يؤديها الأفراد أداء مباشراً، كالصلاة والصيام وما يقرب منهما، وفيه كذلك عبادات اجتماعية يؤديها الأفراد بواسطة الدولة كالجهاد وإقامة الحدود وإيتاء الزكاة، ولنتريث قليلاً في تفهم الطريقة التي تؤدى بها هذه العبادات، أمر الإسلام بالجهاد في سبيل الله، فهل من المستطاع أن يَذهب كل فرد على حدته لقتال الأعداء؟ وهل يُقال إن الأمة قد نزلت عن حكم الله إذا أَرسلت أبناءها فرادى قياماً بواجب الكفاح المنشود؟ لا، بل هناك تجنيد عام وقوى متساندة وقيادة منظمة ووسائل عَرفتها الأمم بالبداهة، فكونت الجيوش ورسمت الخطوط، وعلى الفرد أن يُسلم نفسه في سن معينة للدولة، وهي تَصنع به من تشاء وتُكلفه بما ترى، وبذلك يكون قد أدى ركن الجهاد، ولو أدى هذا الواجب الاجتماعي بأسلوب فردي لَفَشِلت الدولة في الدفاع عن نفسها، بل لَفَشِل الفرد بالعود بنفسه سالماً، كذلك تكاليف الخدمة الاجتماعية التي تَفرض على المؤمن أنواعاً من الزكاة والصدقات والضرائب يُؤديها لِيُطهر البيئة التي يَعيش فيها من مظاهر البأساء والضراء.

يا سادة: إن هذه التكاليف لَون آخر مِن ألوان الجهاد، إنه جهاد مسالم نبيل، لا يقوم على سفك الدماء وإزهاق الأرواح، لكنه يَقوم على تجفيف الدموع المراقة وتَخفيف الحسرات المكظومة، وطمأنة القلوب القلقة، بلى إنه جهاد، ولقد عَدَّ الرسول ﷺ صاحبه مُجاهداً، فقد ورد في الحديث الصحيح: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)) ومن الضروري لنجاح هذا الجهاد الداخلي أن نَسلك به مَسلك زميله الجهاد الخارجي، فنعهد به إلى الدولة، وبذلك تُعتبر مسؤولة مسؤولية مُطلقة عن إطعام كل جائع ومُداوة كل مَريض ومساعدة كل عاجز، وللدولة الحق في جباية ما تُريد من أموال مختلفة المصادر كثرت أو قلت، وليس هذا التفكير جديداً إلا على أبناء العصور الإسلامية المتأخرة، أما العَصر الزاهد للخلافة الراشدة الأولى فقد كان هذا التفكير مألوفاً فيه لدى الشعب والحكومة جميعاً، وقد رأينا كيف قاتل الخليفة الأول لجمع الزكاة، فهل كان استيلاؤه عليها إلا ليتولى هو نفسه من حيث إنه حاكم وضعها في مصارفها المعروفة؟ وهل هذا إلا إقرار بالمبدأ مسؤولة الدولة عن مبدأ التامين الاجتماعي في بلادها وقيامها عن الأفراد أو معه بهذا الواجب؟ ثم جاء عمر فزاد في مسؤولية بيت المال زيادة جديدة، إذ جعلته

يكفل العجزة من أهل الكتاب، وقد حدث أن رأى ذمياً يَسأل، فقال له: ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية وأنت قادر، ونتركك الآن؟ وأجرى عليه راتباً يُغنيه.

فأعمال البر إذاً لا بد من تنظيمها لتحيي وتبقى، ولتُؤتى ثمرتها المرجوة منها.

يا سادة: قد تنزل فاجعة بأسرة من الأسر ويُعلن عليها في الصحف، وإذا بطلاب الخير وهم قليل يتبرعون، وإذا بطلاب الرياء ومُحبي الألقاب وهم كثير يَتبرعون، ثم يَنتهي الأمر، فهل كل فواجع الناس يُعلن عنها في الصحف.

إن الكثرة الساحقة من مآسي المجتمع لا يعلم بها إلا ذووها، وتدخل الدولة هنا لا مَحيص عنه، لأن السكوت عن تقصير الأفراد في الفرائض والواجبات الموكولة إليهم هَدمٌ للدين نفسه وتجاهل لوظيفته، عندما يفقد المجتمع الدعائم المتينة التي يُرسي عليها، والقواعد الأمينة التي يثبت فوقها تنفعل النفوس بعواطف محترقة، كُلما لفحهم من شقاء الحياة مَسُّ الأحداث الكاسرة والآلام القاهرة.

وقد حفظ لنا الأدب العربي صوراً كئيبة لمشاعر الضيق المكظومة، فهذا رجلٌ يحب ابنته، ويتحرك قلبه نحوها دائماً، بيد أنه يخشى عوادي الأيام أن تتخطفه ثم تُواجه فتاته وحدها المستقبل المجهول، فهو لذلك يتمنى أن تموت قبل أن يموت أو يحيا لها، فقال:

وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذو الرحم

أحاذر الفقر يوماً أن يلمَّ بها فيهتك الستر عن لحم وعن وضم

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزّالٍ على الحرم

وربما يقول البعض إن هذه المظاهر الجزعة من آثار عدم الثقة بالله، ونقول لهم: بل هي مظاهر الفوضى الاجتماعية التي ليس في بقائها إلا ما يغضب الله، لقد رفض الإسلام أن يقعد الكسالى عن طلب الرزق اعتماداً على هذه الثقة المزعومة، وما دامت بركات السماء لا تَنزل في الأيدي المغلولة عن العمل فهي لا تنزل في المجتمعات المحرومة من قوانين العدالة وأنظمة التأمين الاجتماعي، لما يصيب الناس من كوراث وضائقات. وهل ينافي الثقة بالله –اسأل نفسك أيها المسلم– هل ينافي الثقة بالله أن يموت الرجل وهو يدري أن الأمة التي يَعيش فيها سوف تغذو أولاده وتكسوهم وتصل بهم إلى أعلى مرحلة من التعليم والتربية وتصل بهم إلى أعلى مرحلة يطيقونها من التعليم والتربية لأن القوانين التي تحكم البلاد تكفل ذلك كله؟ مِن هنا ندرك لماذا فرض الإسلام التجنيد المالي إلى جانب التجنيد العسكري، ودعا إلى تعبئة

النفوس والأموال لخدمة الحق والفضيلة والإيمان، فليفهم الناس إن شاؤوا روح الدين، وليعلموا أن من حق القادر أن يعمل، وأن يجاهد في الحياة ما دام الحياة، لا أن تتسول الحكومة له الإعانات، وتفتح له مطاعم الصدقات، وأن يكون ذلك باسم الحنان الديني ووجوب إخراج الزكاة، وكأن إسلامنا يُريد أن يقول لنا: إن فقركم فقر أخلاق لا فقر أرزاق.

معاشر السادة: الأمة العربية والإسلامية أمة غنية، وتَعيش على بساط خصب من الخيرات والعطاء، ومع هذا وذاك تَجد الشعوب العربية مِن أفقر الشعوب اليوم، وتجد الأمة العربية والإسلامية تُعاني مَا تعاني من ويلات الفقر، لماذا؟ هل تعلمون لماذا؟ لأن أعداء الأمة أعداء الإسلام خُدام بني صهيون عملوا على مر التاريخ والعصور أن يَنهبوا خيرات وثروات الوطن العربي لمصلحة أمريكا وإسرائيل، ألا ترون اليوم –يا سادة– إلى الحروب التي تُشن على الأمة العربية والإسلامية، هي بأموال عربية خليجية، شيء يُسود الوجوه ويُنكس الرؤوس، أموال بالمليارات أمريكا وفرنسا وبريطانيا من آل سعود لدعمهم بالسلاح الفتاك لقتال من يا سلمان؟ لقتال الشعب اليمني، لقتال من يا سلمان؟ لدمار الشعب السوري، لدمار من يا سلمان؟ لدمار الشعب الليبي، لو أن هذه الاموال أنفقها آل سعود أنفقها القطريون أنفقها الخليجيون على أبواب العلم على أبواب الخير على أبواب الحضارة والمعرفة لَنَهضوا بالأمة نُهوضاً عجيباً وغريباً، ولما رأيت في الأمة العربية والإسلامية رجلاً يَتسول.

المسلمون اليوم كثير منهم يتسولون، والحروب والأزمات والشدائد زادت من فقرهم، زادت من حاجتهم، زادت من آلامهم ومصائبهم، لو أن هذه الأموال أنفقوها على بلدانهم على الفقر المتقع في الرياض، على الفقر المتقع في المملكة السعودية، لما رأيت فقيراً في مملكتهم، اذهب إلى هناك وانظر إلى الحرمين الشريفين تجد من الفقراء ما لا يعد ولا يحصى، كل ذلك بسبب الفقر، إنهم ينفقون أموالهم على قتل الشعوب ودمارها وخرابها، ولا ينفقونها أبداً لمصلحة أوطانهم وشعوبهم، عندما حدث الطوفان في جدة قتل ما يزيد عن خمسمائة رجل، وهم أعلنوا عن بعض الذين قتلوا في الفيضانات، كل ذلك بسبب سوء الخدمات التي توجد عندهم، وهم بعد هذا وذاك يريدون أن يقتلونا وأن يدمروا أوطاننا بحجة أن الفساد من عندنا، وأننا مهملون ومهمشون، انظروا إلى أنفسكم قبل أن تنظروا إلى غيركم، عالجوا الفقر في مجتمعاتكم قبل أن تشتروا السلاح المدمر الذي قتلتم به الإسلام والعروبة، هذا الواجب عليكم، وإننا نهيب بالمجتمع الدولي أن يَعمل على مكافحة التسول، وتفجير ينابيع العمل، فإن هذا الواجب واجب كبير يقع على الإنسانية

والعالم بأسره، فإنه ليس من اللائق أبداً أن تَجد الأمة العربية والإسلامية أمة تتسول، أمة تعاني شعوبها ما تعاني من ويلات الفقر والفاقة والحاجة، في الوقت نفسه تجلس على بساط من ذهب وتحت أقدامهم كنوز وينابيع من الخيرات والعطاءات، فأين الإسلام –يا سادة– الذي حارب الفقر والتسول؟ أين الإسلام الذي ينبغي علينا أن نُقيم به أحكامه؟ وأن نعرف كيف نطبقه وكيف نتعامل به؟ ثق تماماً أيها المسلم أيها العربي، لو أننا فقهنا الدين بحق كما أنزله الله لما رأيت مسلماً يتسول، لما رأيت فتاة عليها شيئاً من الجمال نعم تقف على قوارع الطرق تتسول وتتعرض للذئاب من البشر، كم هناك من طفل يتسول، أما يبكي قلبك عندما تجد الطفولة تُهان في هذه المواقف، الطفولة تباع تسخر لأجندة ما لأناس ما باسم التسول باسم الفاقة وباسم الحاجة.

الواجب علينا وعلى كل معني في هذا الأمر أن ننظر إلى المتسولين، من كان منهم صادقاً أعناه، ومن كان كاذباً قومناه، هكذا أمرنا الدين أن نتعامل مع هؤلاء المتسولين، أما هذه الظاهرة ليست هي ظاهرة حضارة، ولا ظاهرة أخلاق، ولا ظاهرة مجتمع يدعي الرقي والتقدم على الإطلاق أبداً، علينا يا معاشر السادة –وأنا أهيب بكل الجهات المعنية بذلك– أن نكافح هذه الظاهرة التي كثرت، ألا ترون في كل شارع في كل حي في كل مكان على كل رصيف في كل شارع تجد متسولاً أو متسولة، وإنك لا تدري أهم صادقون أم كاذبون، لذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى ألا ننهرهم، بل قال: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنهَر﴾ لكن هذا المظهر هذا الأسلوب هذا الواقع المؤلم هذا الحال الذي يفرض عليك أن تتحرك لا ينبغي السكوت عنه على الإطلاق، لا سيما أهل دمشق معروفون على مر التاريخ أنهم أهل خير وعطاء، تجار دمشق معروفون على مر التاريخ أنهم أهل خير وبركة، وأهل سورية معروفون بالتراحم، فلماذا أصبحنا نرى هذه الظاهرة الخطيرة والمخجلة والمؤسفة تزداد يوماً بعد يوم، لا سيما عندما كثر التشرد وزاد القتل والإجرام، وذلك من خلال الإرهاب الذي ضرب أمننا واستقرارنا.

هناك أناس متعففون، واجب عليك أن تبحث عنهم، لا يسألون الناس إلحافاً، المتعفف لا يسأل، النبي عليه الصلاة والسلام قال في الحديث الصحيح: ((ليس المسكين الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً فيغنيه، ولا يقوم فيسأل الناس فيتصدق عليه)) المتعفف لا يسأل، وأنت واجب عليك أن تبحث عن المتعففين.

ما أحوجنا –أيها الإخوة المسلمون– في هذه الأيام المباركة أن نتكاتف أن نتراحم أن نبحث عن أصحاب الحاجة أن نبحث عن المهجرين الذين تركوا أموالهم تركوا بيوتهم هروباً من الإرهاب والإجرام هروباً من أموال آل سعود القذرة التي شردتنا من بيوتنا، وإننا لنقول للملك الأردني للنظام الأردني هو ليس بملك، نحن لا نعترف على ملك إلا من كان مستقيماً على شرع الله وحاقناً لدماء المسلمين، أما الذي ينحرف على الشريعة ويقتل المسلمين فهو خادم لبني صهيون، نقول لآل سعود: ألا تتقون الله؟ إذا كان أعطاكم من الأموال ما أعطاكم من البترول فاستخدموه في الخير حتى لا يكون وبالاً عليكم في الدنيا قبل الآخرة، وها هي أموالكم بسبب أموالكم القذرة بدأ الأمن والاستقرار أن يتزعزع في مجتمعكم في حياتكم في معاملاتكم، نعم بدأ بسبب أموالكم بسبب إجرامكم. أما النظام الأردني فإننا نقول لهم: أيها النظام الأردني لقد شننت منذ يومين حرباً على درعا الحبيبة على أهلنا في درعا الحبيبة من أجل أن تقتحم مدينة درعا، ولكنك فشلت أنت وخدامك فشلت أنت وأسيادك فشلتم لأن درعا درع الوطن وأهلها شرفاء وأهلها لهم على مر التاريخ مواقف طيبة في الدفاع عن هذا الوطن الحبيب، فإننا نقول لك: لن نهاب إجرامك، لن نهاب غدرك ومكرك، خذ كلابك أيها النظام الأردني وارحل عن بلادنا، خذ كلابك وارحل عن بلادنا، فإننا قررنا إما أن ننتصر أو نموت كراماً كما أحيانا الله سبحانه وتعالى كراماً، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، اللهم إنا نسألك أن تبارك لنا في شهر رمضان، وأن تعيننا فيه على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وأن تجعلنا فيه من عتقائك من النيران، اللهم إنا نسألك بهذا الشهر العظيم وببركات هذا الشهر العظيم أن تنصر الجيش العربي السوري في السهول والجبال والوديان، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، وأن تسدد

أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.